

بين الصفا وليك

أما بعد:

بين الصفا وليك ... نشأت ملحمة الإيمان والتوحيد.
بين الصفا وليك ... تحطمت أصنام الشرك والتنديد.
بين الصفا وليك ... بزغ للبشرية فجر العزة والكرامة من
جديد.

أمّا الصفا فمكان مرتفع من جبل أبي قبيس، وهو أحد شعائر الله في الحج والعمرة (إن الصفا والمروة من شعائر الله، فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما) ولقد شهد هذا الجبلُ مشاهدَ عظيمةً في تاريخ الإسلام؛ الذي هو دين كل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.. فهذا عبد الله ورسوله ووصفيّه وخليّله، إمامُ الحنفاء، ووالدُ الأنبياء عليه أفضل صلاة وتسلم، أمره ربه ببناء البيت العتيق؛ الذي هو أول مسجد وضع للناس يعبدون الله فيه، وبوأه الله مكانه؛ أي أرشده إليه ودلّه عليه،

أتدرون لماذا؟؟

لترتفع راية التوحيد.. وليُسمعَ إبراهيمُ العبيدَ نداءَ ربِّ العبيد..

{وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا
وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود، وأذن في
الناس بالحج}

أي: نادِ في الناس داعيا لهم إلى الحج إلى هذا البيت الذي
أمرناك ببنائه. فذكر أنه قال: يا رب، وكيف أُبلِّغُ الناس
وصوتي لا ينفذهم؟ ف قيل: نادِ وعلينا البلاغ.

فقام على الصفا وقال: يا أيها الناس، إن ربكم قد اتخذ
بيتا فحجوه، فيقال: إن الجبال تواضعت حتى بلغ الصوت
أرجاء الأرض، وأسمع من في الأرحام والأصلاب، وأجابه كل
شيء سمعه من حجر ومدبر وشجر، ومن كتب الله أنه يحج
إلى يوم القيامة.

أجابوه: "ليبك اللهم لبيك".

وبين الصفا ولبيك ... قصة الإسلام المجيد.

لقد قام إبراهيم عليه السلام يؤذّن بالحج، ويدعو الناس إليه فلبّي منهم من شاء الله، وبعد عشرات القرون يقوم محمد صلى الله عليه وآله وسلم يجدد دعوة أبيه إبراهيم على الجبل نفسه؛ فلباه من وفقه الله لحسن الاختيار، ومن كتب له عقي الدار، وواجهه بالاستهزاء والاحتقار؛ من غلبت عليه الشقوة والصغار.

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج إلى البطحاء، فصعد الصفا فنادى: ((يا صباحاه)). فاجتمعت إليه قريش، فقال: ((أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم، أكنتم تصدقوني؟)). قالوا: نعم. قال: ((فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد)). فقال أبو لهب: تبا لك سائر اليوم. ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله: {تبت يدا أبي لهب وتب} (١).

لقد أراد هذا المأفون أن يجبس ذاك النداء بين جنبات جبل الصفا فلا يتجاوزه؛ ولكن.. أبي الله ذلك.

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٥١٤)

فأين أبو لهب اليوم.. لسمع هذه الملايين تنادي كلها
وتحتف «لبيك اللهم لبيك»، يلبون دعوة الله التي بلغتهم على
لسان محمد عليه الصلاة والسلام؟

لبيك يا الله... والثقلان والدنيا تلبي
لبيك رب العالمين وأنت يا الله ربي
لبيك صوت محمد أبداً بأذاني وقلبي

وبين الصفا ولبيك... قصة انتصار الرسول الطريد.
فإن الذي خرج من مكة طريداً مهدداً بالقتل.. ليس معه
إلا أبو بكر، قد اجتمعت عليه أحزاب الكفر؛ فصمداً، لأنه
موعود بنصر الله.

يعود إليها بعشرات الألوف من المؤمنين... كما قال
جابر رضي الله عنه في صفة حجة الوداع: (حَتَّى إِذَا اسْتَوَتْ
بِهِ نَاقَتُهُ عَلَى الْبَيْدَاءِ نَظَرَتْ إِلَى مَدِّ بَصْرِي بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ
رَاكِبٍ وَمَاشٍ، وَعَنْ يَمِينِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَعَنْ يَسَارِهِ مِثْلَ ذَلِكَ،
وَمِنْ خَلْفِهِ مِثْلَ ذَلِكَ) رواه مسلم (١٢١٨).

يعود إليها وهو يقول: لبيك اللهم لبيك، ليقف مرة أخرى على الصفا ويقول: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»^(١)

عباد الله:

إن التلبية ليست جُملاً جوفاء.

التلبية.. كلمات جليلة المباني عظيمة المعاني..

هي: شعار عباد الله المخلصين.. المؤمنين الموحدين..

الشاكرين المستغفرين

لبيك... شعار المساواة والإخاء، والود والصفاء.. في ذاك

الجمع الهائل الذي يرتدي غنَّيه وفقيرُه، رفيعُه ووَضيعُه، ثوباً

واحداً، ويقف في مكان واحد وينادي بصوت واحد، «لَبَّيْكَ

اللهمَّ لبيك»، فتتهتز من صياحه بطحاء مكة ويرنَّ صدها في

جوانب العالم.

(١) صحيح مسلم (٢/ ١٨٨٨)

هنالك تخشع القلوب، وتموت المطامع، وتخنس الشياطين،
ولا يبقى إلا الفضيلة ترفرف على رؤوس الناس (١)
بارك الله لي ولكم..

الخطبة الثانية:

أما بعد:

عباد الله:

أمة الإسلام اليوم على مقربة من يوم عرفة...
عرفة التي هي بالأمس بسيط من الأرض لا دار فيها ولا
ديار... تصير في يوم واحد مدينة عظيمة فيها ألوف البشر
بين غاد وسيار.. يلهجون بالتلبية نهارا جهار، ويرجون رحمة
الكريم الغفار.

عرفة.. الخالية من كل مُشغِلٍ للقلب والعقل والبصر.. فلا
جمال للمناظر.. ولا أدواتٍ للهو والتسلية.. ولا أناقة في
اللباس ولا زينة ولا تفاخر ولا تفاوت..

(١) ذكريات - علي الطنطاوي (٣/ ٢٠٧)

وكل ذلك ... كيلا يشتغل الحجاج بها عن الخلوة بالله
ودعائه ولذة مناجاته.

وكل ذلك... حتى لا يتكبر متكبر ولا يستعلي مستعلٍ
فالكل من التراب وإلى التراب، والموفق منهم من يستعد ليوم
الحساب.

والشيطان في ذاك اليوم أحقر ما يكون.. إذ تدمغه
بالتوحيد أصواتُ المَلْبِينِ في عرفات.. والمكبرين في المساجد
بعد الصلوات..

فلا عجب ... أن يباهي الله بأهل عرفة ملائكته، وأن
يكون أكثر أيام الله عتقاً من النار^(١)، وأن يجعل الله جزاء
صيامه تكفير سنتين: السنة الماضية والباقية.

فيا فوز الصائمين.. الذاكرين الداعين التالين المتعبدين.
عباد الله:

(لبيك اللهم لبيك) لا تنتهي بانتهاء الحج، فله نداءاتٌ
أخرى لكم: يأمر فيها بالتوحيد والإخلاص، واتباع سبل الخير

(١) رواه مسلم في الصحيح.

والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، فأصغوا لها وتسمّعوها في
آيات كتابه وأقوال نبيه، فإذا تمثّلت لأذهانكم فلبوا بألسنتكم
وقلوبكم، وأظهروا أثرها في السلوك والأعمال وفي كل مظاهر
الحياة..

وقولوا على جبالٍ من الصفا ...

لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ
وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ.